



IRAQI
Academic Scientific Journals



العراقية
المجلات الأكاديمية العلمية

ISSN:2073-1159 (Print) E-ISSN: 2663-8800 (Online)

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL

Journal Homepage: <http://jis.tu.edu.iq>

ISJ

Exaggerated Sadness in the Frontal Front of Imru Al-Qais Al-Mallaqah as a Model

ABSTRACT

Dr. Naseer K. Abbas ♦

Arabic Language
Instructor, College of
Education for Pure
Sciences, Wasit
University, Iraq .

KEY WORDS:

*Imru' al-Qays, the poet,
the ancient, the Talliah
introduction, the
narrator, the feelings, the
truth, the reality.*

ARTICLE HISTORY:

Received: 20 / 6 / 2021

Accepted: 4 / 7 / 2021

Available online: 28 / 8 / 2021

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ) ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ)

Researchers believe that in the poetry of every poet there is what is suitable for criticism at one time. Therefore, it is correct to re-approach creative texts from time to time to the cultural transformations - which each stage witnesses - that would show new results and different convictions, which is a praiseworthy matter, and raises the value of literary productions, and returns to its owner fame and quality, as well as being a vast field for the practice of reading according to new curricula, and to identify its ability to approach texts, and the extent of its success in that; Perhaps the use of some narration tools is useful to pursue the basic elements on which the text is built, and contributed to its appearance as it has reached to us. The narrator was the tool that the researcher tried to test on the introduction to Imru' al-Qays' commentary . He is one of the basic elements in the narrative construction - To stand on his accuracy in transmission, and depict the events in the structure of the informant, The researcher believes that he wrote his point of view in what he sees, based on the fact that freedom of opinion is protected if it provides the researchers arguments or convictions that support his claims towards what he hopes to be right.

الحزن المبالغ فيه في المقدمة الطللية عند امرئ القيس المعلقة انموذجاً

م.د. نصير خلف عباس

مدرس اللغة العربية , كلية التربية للعلوم الصرفة, جامعة واسط, العراق .

الخلاصة:

يرى الباحثون أنّ في شعر كل شاعر ما يصلح في زمن من الأزمان للنقد؛ لذلك من الصحة أن يعاد مقارنة النصوص الإبداعية بين مدة وأخرى لما في التحولات الثقافية -التي تشهدها كل مرحلة- ما من شأنه أن يظهر نتائج جديدة، وقناعات مختلفة، وهو أمر ممدوح، ويرفع من قيمة النتاجات الأدبية، ويعود على صاحبها بالشهرة والجودة، فضلاً عن كونها ميداناً رحباً لممارسة القراءة على وفق مناهج جديدة، والتعرف على مقدرتها في مقارنة النصوص، ومدى نجاحها في ذلك؛ ولعل استعمال بعض أدوات السرد فيه جدوى لملاحقة العناصر الأساسية التي بُني عليها النص، وساهم في خروجها بالمظهر الذي وصلتنا عليه؛ فكان الراوي الاداة التي حاول الباحث تجريبها على مقدمة معلقة امرئ القيس -وهو من العناصر الأساسية في البناء السردى-؛ ليقف على دقته في النقل، وتصوير الأحداث في بنية المطلع، ويعتقد الباحث أنه سطرّ وجهة نظره فيما يراه، منطلقاً من أنّ حرية الرأي مصونة إذا ما قدمت ما يمكن له أن يتوافر على حجج أو قناعات تدعم مزاعمه تجاه ما يأمل أن يكون فيه مصيباً.

الكلمات الدالة: امرئ القيس، الشاعر، القَدَم، المقدمة الطللية، الراوي، المشاعر، الحقيقة، الواقع.

المقدمة

يعتقد الدارسون أن قيمة امرئ القيس الشعرية كبيرة جدا، وهذا لا يعني أننا نقف عند ما قاله النقاد والباحثون في شأنه أو فيما يتعلق بشعره، إيماننا بأن لكل باحث وجهة نظر ليست بالضرورة أن تجاري زما خلا، ولا ينبغي لها أن تتفق مع آراء نقاده وإلا لا قيمة لحضورها، ولا فائدة ترجى من وجودها، بل وأكثر من ذلك فهي ليست معنية بقدر أن تتفق مع وجهة نظر معاصرة بقليل أو كثير، ولا سيما في المسائل التي يغلب عليها طابع انساني، أو أنها منغلقة من قبضة المنهج الواحد الذي يتسلط بتفرده على القراءة النقدية، حتى ينتهي إلى نتائج متشابهة على الرغم من كثرة القراء والباحثين، وقد يكون ذلك أقرب إلى المناهج العلمية منها إلى الإنسانية.

الحزن المبالغ فيه:

لا يستطيع باحث أن يتجاوز أن امرأ القيس من كبار الشعراء، ومن أشهرهم، وأنه سابق لأكثرهم في الشعر، وأن شعره شكل الأنموذج الذي رسم طريقا سالكا لمن بعده، حتى احتذى منهجه كل الشعراء -إن لم تكن نبالغ في ذلك-؛ لذلك يُعابن تأثرهم بوضوح على مر العصور، ولا يُكاد يُستثنى أحد لم يقل الشعر على طريقته -إن كان في الأمر نسبية- في العصر الحديث فضلا عن العصور القريبة على زمنه، ولكن لكل موضوع في الشعر باب الذي منه يطرق، ومأخذه الذي عليه يسأل، ولا يخفى على أحد أن ثمة مسائل كثيرة يمكن أن تناقش، وقد تكون نقطة ضعف بعض الشعراء، أو محل خلاف النقاد والباحثين، وللمناهج الحديثة فضل لا ينكر؛ إذ إنها تفتح مع الشعر أو الشعراء نوافذ للحوار في كثير منها موضوعات جديدة أو أنها تعيد النظر في آراء قديمة كشفت عن قناعاتها في مسألة شعرية معينة؛ لذلك سوف يسلط الضوء على أغلب الآراء التي قيلت في امرئ القيس أو في شعره، ويُحاور ما لا اختلاف فيه، ويُؤيد ما يرى قولاً جازماً لا يقبل الشك، ومن الصعوبة حقا أن تُحصى كل آراء النقاد في شاعر مثل امرئ القيس؛ فهي كثيرة جدا!! ولكن سوف يكون الاهتمام على ما هو جدير بذلك.

لا يخفى على أحد أن كثيرا من النقاد كانوا يرون أن امرأ القيس أفضل الشعراء على الإطلاق. ومنهم الأمدي الذي ألف كتابا في تفضيله على سائر الشعراء الجاهليين (تفضيل شعر امرئ القيس على الجاهليين)، وقد يكون مصيبا بذلك؛ إذ لا لم يحظ شاعر جاهلي بوفرة شعرية مثلما نال ذلك امرؤ القيس، "وقد كان يعاصر من الشعراء والمعروفين: علقمة بن عبدة، وعبيد بن الابرص، والشنفرى، وأبو دؤاد، وسلامة بن جندل، والمنقّب العبدى، والبراق بن روحان، وتأبط شرا، والتوعم البشكري، وكان من حشم أبيه شاعر اسمه عمرو بن قصبه، وهو الذي ذكره في قصيدته التي قالها حين توجه إلى قيصر، وذلك في قوله:

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيَقِنَ أَنَا لَاحِقَانَ بِقَيْصِرَا

وكل هؤلاء لم يقع للرواة من شعرهم مقدار ما وقع في أيديهم لأمرئ القيس؛ فكان ذلك سببا من أسباب تميزه وتفرده^(١)، والكثرة تجلب معها في الأقل أمرين؛ الأول: تعدد الأغراض الشعرية؛ لأنها تعطي انطبعا جيدا عن مقدرة الشاعر في قول الشعر، على اختلاف موضوعاته وأغراضه، وهي بالضرورة صفة ممدوحة تمنح الشاعر مزيدا من التفوق على اقرانه.

وأما الامر الثاني: فإن غزارة الإنتاج الشعري تقضي الى تجربة عميقة، لها أبعادها الزمنية والموضوعية، وهذا الامر جدير بأن يدفع بالشاعر الى منزلة رفيعة، ومكانة متقدمة، وأولية حتمية.

وإذا كان للغزارة الشعرية دور فاعل في أفضلية الشاعر فإن ذلك ينتهي الى تجربة عريقة يغترف منها الآخرون ما يصح شعرهم أو يقوم تجاربهم، حتى يعتقد الرافعي "أن الشعراء كانوا يهتدون في الصنعة بأمرئ القيس، فكان شعره لهم أشبه بكتب البلاغة للمتأخرين"^(٢)، ويتسرب تأثيره الى الشعراء من بعده "وظلت قصائده تبعث على التقليد والاتباع وانبهر بقصائده عدد كبير من شعراء العربية في مختلف العصور، ورأوا فيها الصورة الانموذج لبناء القصيدة الفني والموضوعي، وشعره يمثل مرحلة مبكرة من الأسلوب الخاص في عرض العواطف والأفكار والقضايا وتشكيلها على نحو مؤثر، وكثيرا ما كان امرؤ القيس يرتد الى أعماق التجربة الإنسانية فيتمثلها ويشكلها تشكيلا فنيا يضفي على الوجود معنى وروحا ونظاما"^(٣)، ولا تقف الفائدة عند الشعراء فحسب وإنما تتعدى ذلك الى النقد في اظهار جملة من الخصائص التي تشكل معيارا يصار إليه التمثيل والقياس، ولاسيما في الاشباه والنظائر من القول، ويعدو الامر أبعد مما تقدم؛ إذ لا يخفى على أحد أن امرأ القيس من الشعراء الأوائل الذين ذهب شعرهم شاهدا غير قابل للرد فيما يتعلق بالنحو والصرف وعلوم البلاغة والتفسير، "وما وقع للعلماء من شعره لا يجتمع منه لشاعر جاهلي، فكان شعره تحفا فنية عتيقة بهرت أهل الغريب وعلماء البيان وأرباب البلاغة وأصحاب التفسير"^(٤)، ومن فوائده أيضا ما رواه ابن قتيبة إذ قال: "أقبل قوم من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم، فضلوا الطريق ومكثوا ثلاثا لا يقدرن على الماء، إذ أقبل راكب على بعير، وأنشد بعض القوم:

وَلَمَّا رَأَتْ أَنْ الشَّرِيعَةَ هَمُّهَا
وَأَنَّ البَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِي
تَيَمَّمَتِ العَيْنَ التِّي عِنْدَ ضَارِجِ
يَفِيءُ عَلَيْهَا الظَّلَّ عَرْمَضُهَا طَامِي

(١) الرافعي، مصطفى صادق. (١٩٩٧). تاريخ آداب العرب: ١٧٧/٢.

(٢) الرافعي، مصطفى صادق. (١٩٩٧). تاريخ آداب العرب: ١٩١/٢.

(٣) أبو سويلم، د. أنور عليان، الشوابكة، د. محمد علي. (٢٠٠٠). ديوان امرئ القيس وملحقاته: ١١.

(٤) أبو سويلم، د. أنور عليان، الشوابكة، د. محمد علي. (٢٠٠٠). ديوان امرئ القيس وملحقاته: ١١.

فقال الراكب: من قال هذا؟ قالوا: امرؤ القيس، فقال: والله ما كذب، هذه ضارج عندكم، وأشار إليه، فمشوا على الراكب، فإذا ماء غدق، وإذا عليه العرمض والظل يفئ عليه، فشربوا وحملوا، ولولا ذلك لهلكوا"^(١)؛ لذلك لا يتردد باحث في جدوى كتاب الطوفي (موائد الحيس في فوائد امرئ القيس).

وقد أصاب الحقيقة جملة من النقاد حين قدموا امرأ القيس على شعراء عصره؛ ومنهم أبو عمرو بن العلاء الذي يرى "أن الشعر فُتح بامرئ، وخُتم بذوي الرمة"^(٢)، وقدمه ابن رشيق على سائر شعراء الجاهلية أيضا: "تقدمة الشعر لليمن: في الجاهلية بامرئ القيس"^(٣)، وقال صاحب بن عباد: "بُدئ الشعر بملك وخُتم بملك، يعنون امرأ القيس وأبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان"^(٤)، ولأبي عبيدة رأي شبيه بذلك: "افتتح الشعر بامرئ القيس وخُتم بابن هرمة"^(٥)، وينقل ابن رشيق عن الجمحي قوله: "فارس اليمن في بني زبيد عمرو بن معدي كرب، وشاعرها امرؤ القيس"^(٦)، وقال أيضا: "اخبرني يونس بن حبيب: أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر"^(٧)، وقد يكون للشعراء الرأي ذاته، يقال إن لبيدا مرًا بالكوفة فسأله أحدهم: "من أشعر الناس؟ قال: الملك الضليل"^(٨)، وروى ابن قتيبة عن لبيد بن ربيعة قوله أيضا: "أشعر الناس ذو القروح، يعني امرأ القيس"^(٩)، وسئل الفرزدق من أشعر الناس فقال: "ذو القروح، يعني امرأ القيس"^(١٠)، وبرر الذي قدم امرأ القيس على غيره بقوله: "ما قال مالم قالوا، ولكنه سبق العرب الى أشياء ابتدعتها، واستحسنتها العرب، واتبعته فيها الشعراء: استيقاف صحبه، والتبكاء في

(١) ابن قتيبة. (١٩٦٧). الشعر والشعراء: ١١٢/١.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (١٩٩٨). البيان والتبيين: ٨٤/٤.

(٣) الأزدي، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. (١٩٨١). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٨٩/١.

(٤) الأزدي، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. (١٩٨١). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٨٩/١.

(٥) الأزدي، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. (١٩٨١). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٩٠/١.

(٦) الأزدي، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. (١٩٨١). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١٩١/٢.

(٧) الجمحي، محمد بن سلام. (١٩٨٠). طبقات فحول الشعراء: ٥٢/١.

(٨) الجمحي، محمد بن سلام. (١٩٨٠). طبقات فحول الشعراء: ٥٤/١.

(٩) ابن قتيبة. (١٩٦٧). الشعر والشعراء: ١٠٥/١.

(١٠) الجمحي، محمد بن سلام. (١٩٨٠). طبقات فحول الشعراء: ٥٣/١.

الديار"^(١)، وعلل عمر بن الخطاب تقديمه بأنه: "سابق الشعراء، خسف لهم عين الشعر"^(٢)، وقال وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: "قال من فضله: أنه أول من فتح الشعر واستوقف، وبكى في الدمن، ووصف ما فيها. ثم قال: دع ذا رغبة عن المنسبة، فتبعوا أثره. وهو أول من شبه الخيل بالعصا والقوة والسباع والطباء والطيور، فتبعه الشعراء على تشبيهها بهذه الأوصاف"^(٣)، وذهب ابن الكلبي إلى أنه أول من بكى في الديار"^(٤)، "وأول منقال (فعاذى عدا) فاتبعه الناس. وأول من شبه الحمار (بمقلء الوليد)، وهو عود القلعة. و(بكر الاندري) والكر: الحبل. وشبه الطلل (بوحى الزبور فى العسيب)"^(٥)، ويعزو آخر تقديم امرئ القيس الى طبيعة قوله فى الشعر "كان أشعر الناس امرأ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابعة إذا رهب، والاعشى إذا طرب"^(٦)، وقد يكون لابن قتيبة رأي آخر. قال: "وهذه الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد"^(٧)، ويبدو أن ابن قتيبة اختار ما له علاقة بواقعية الشعر أو يرتبط بسبب له علاقة بحكم الملك حجر.

وإذا كان لأمرئ القيس نصيب كبير من الآراء انشغلت في مدحه والثناء على شعره فإن له سهماً من النقد أسوة بالشعراء الآخرين، وقد بلغ من القسوة أن يقال فيه: "ومن تدبر ما نقلوه من شعر امرئ القيس يخيل له أول وهلة أن هذه الشهرة التي رزقها ليست على مقدار شعره، ولا هي في وزن براعته، ولكنها جاءت من ذكره في الحديث الشريف"^(٨)، وبناءً على رأي الرافعي فإن الملك الضليل لم يسم بهذا الشكل، ولا اشتهر بهذا الصيت إلا لأن الرسول (ص) ذكره في حديث شريف، ووجهت له اتهامات عدة "ومنها دخوله في وجوه المناقضة والإحالة في بعض الكلام، وذلك مما يدل على أنه يرسله ارسالاً كما اتفق، لا يبتغي به إلا لذة المنطق، والا موتاة ما في نفسه من الميل الى القول"^(٩)، وإذا اقتصر الكلام على هذا الرأي لكان أعظم منقصة على شعره، وفيها دليل على ادانته بقلعة الوعي الشعري، وأن مذهبه سطحي لا يعير لكلامه معنى مفيداً سوى

(١) الجمحي، محمد بن سلام. (١٩٨٠). طبقات فحول الشعراء: ٥٥/١.

(٢) ابن قتيبة. (١٩٦٧). الشعر والشعراء: ١٢٧/١.

(٣) ابن قتيبة. (١٩٦٧). الشعر والشعراء: ١٢٨/١.

(٤) ينظر: ابن قتيبة. (١٩٦٧). الشعر والشعراء: ١٢٨/١.

(٥) ابن قتيبة. (١٩٦٧). الشعر والشعراء: ١٣٣-١٣٤.

(٦) الشنتمري، العلامة يوسف بن سليمان بن عيسى. (١٩٦٣). أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ٢٧٤.

(٧) ابن قتيبة. (١٩٦٧). الشعر والشعراء: ١٠٥/١.

(٨) الرافعي، مصطفى صادق. (١٩٩٧). تاريخ آداب العرب: ١٧٥/٢.

(٩) الرافعي، مصطفى صادق. (١٩٩٧). تاريخ آداب العرب: ١٩٤/٢.

أنه كلام جميل؛ وبذلك يفقد امرؤ القيس كثيرا من خصاله التي نُعت فيها بوصفه شاعرا له مكانته التي سما فيها على اقرانه ومعاصريه.

ويرى الباحث أن لكل شاعر باباً يطل منه الباحثون والنقاد لقالوا آراءهم فيما يعتقدون، بحسب زمانهم، وادواتهم النقدية، وربما يتقاسم وجهة نظر معينة رآيان من زمنين مختلفين على الرغم من أن لكل منهما أدواته التي يقارب بها، وطبيعته المختلفة التي يحكمها زمان ومكان محددان، وقد يكون لآرائهم نقيض يسجله رأي آخر، ولا يُحسب ذلك إلا تحولا يطرأ على النظرية النقدية، أو للانتقالات النوعية التي تحققها الثقافة بكل أبعادها وتصوراتها، ذلك فضلا عن طبيعة التفكير التي لا تزال تبحث عن الثغرات القابلة للردم بطريقة افتقدت منطقتها النقدي تحت ضغط ظرف معين في زمن من الأزمان. وفي هذه الورقة البحثية يُعتقد بأن ثمة ما نقوله في مقدمة معلقة امرئ القيس، وقد يكون مخالفا لرأي قد أدلى الباحث به سابقا، ولا يُرى في ذلك حرجا؛ إذ إن اختلاف الآراء بين مدة وأخرى لا يكون نقصا بقدر ما يُحسب حالة صحية تنم عن دوام التفكير والاطلاع المستمر في الموروث الأدبي الذي لما يزل نابضا بكثير من الأمل في إيجاد أبواب يتفتق منها الجمال، ويشرق منها نور جديد لم يحظ بمشاهدة سابقة.

وفي أدناه جملة من الاعتقادات بما يراه الباحث ملائما لمقامه، والمدعمة بما يعضدها من الآراء النقدية أو الحجج الكامنة في النص ذاته، تعزز ما يذهب اليه في تحليله:
قال امرؤ القيس^(١):

بَسِقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمِلِ	قِفَا نَبِكِ مِنْ نِكْرِي حَبِيبِ وَمَنْزِلِ
لِمَا نَسَجْتَهَا مِنْ جُنُوبِ وَشَمَائِلِ	فَتُوضِحُ فَالْمُقْرَأَةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمَهَا
وَقِيَعَانِيهَا كَأَنَّهُ حَبٌّ فُلُقُلِ	تَرَى بَعَرَ الأَرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا
لَدَى سَمَرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ	كَأَنِّي عِدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا
قَالُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلِ	وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ
وَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلِ	وَإِنْ شِفَائِي إِنْ سَفَحْتَهَا

يعتقد الباحث أن هذه المقدمة خالية من المشاعر الحقيقية التي يمكن أن يسببها حدث كبير مثل مقتل حجر والد امرئ القيس؛ لأسباب عدة:

أولاً: إنَّ امرأ القيس رجل لاهي لا شغل له في المشاعر الحقيقية التي يمكن أن تتبثق من الشعور بالمسؤولية تجاه الحكم أو إدارة أمور الناس بالطريقة نفسها التي كان يحكم بها رؤساء القبائل والملوك "فلم يكن بدعا أن يصبح الولد المدلل ملء نهاره صيد ولعب، ومحتوى ليله شرب

(١) إبراهيم، محمد أبو الفضل. ديوان امرئ القيس: ٨-٩.

وطرب، يسير مع جمع من صحبته ممن هم على شاكلته^(١)، و"كان محبا للهو واللعب مولعا بمغازلة النساء ومفاكهن^(٢)".

ثانيا: كان معروفا عن أبيه أنه حاكم جبار وملك متعطر يأخذ الناس بالقوة والاكراه، ولا يعبأ بأرواح الناس ومشاعرهم وممتلكاتهم^(٣)، وبإزاء ذلك يكون امرؤ القيس أمام موقفين لا ثالث لهما؛ أحدهما أنه كان رافضا لذلك التعامل غير الإنساني، وساخطا على ملك أبيه، ويقال إن امرأ القيس كان مع أبيه عند مقتله على يد بني أسد ولكنه هرب وترك أهل بيته وما ملك أبيه بين يدي بني أسد^(٤)، وثمة قول ينسب إلى امرئ القيس: "ضيعني صغيرا وحملني ثأره كبيرا"^(٥)، ويرى الدكتور الظاهر أحمد مكي أن حجرا لم يكن وثيق الصلة بولده^(٦)؛ لذلك ترك كل شيء بعد أن طرده أبوه من مملكته بحسب ما ورد عن كتب التاريخ، وهو أمر يحتاج الى وقفة أيضا؛ فقد ورد عن المؤرخين أن القبائل كانت تحتفي اذا ما نبغ لها شاعر، حتى تقام الولائم على شرفه، وتقدم لها التهاني والتبريكات؛ لأنه اللسان المحامي عن عرض القبيلة وشرفها، وهذا يتنافى مع فعل والده الذي انتهى به الى النفي؛ لذلك من غير الممكن أن تكون تلك الوقفة حقيقية، والبكاء نابع من مشاعر تستدعي بكاءً مثلما صوره. وثانيهما أنه على طريقة أبيه، لا اشكال لديه في سلوك الملك، ومنهج الحكم، والبعد عن مرمى الملوكية أمر مكره عليه بسبب طيشه ولهوه، ولا دليل على أن ثمة دافع يحتم على امرئ القيس أن يكون صادقا في وقوفه على الديار وبكائه على الملك المغدور، ولاسيما أنه يعتقد بأن لا جدوى من البكاء^(٧)، والمشاعر التي صورت في المقدمة لم تكن بدافع ما تقدم في الأقل، وهذا ينتهي الى النتيجة نفسها.

ثالثا: لقد أقرَّ امرؤ القيس أن تلك المقدمات التي يبكي فيها ديار الأحبة تقليد فني، اتبع في ذلك ابن خدام^(٨):

عُوجًا على الظَّلِّ المُحِيلِ لَأُنَّا نَبْكِ الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ خِدَامِ

وهذا حتما ينتهي الى مشاعر غير صادقة.

- (١) مكي، د. الطاهر أحمد. (١٩٩٣). امرؤ القيس حياته وشعره: ٥٨.
- (٢) السندي، حسن. (١٩٩٠). ديوان امرئ القيس ويلييه اخبار المراقسة واشعارهم واخبار النوايح واثارهم في الجاهلية والإسلام: ١١-١٢.
- (٣) ينظر: الاصفهاني، أبو فرج. (١٩٣٦). الأغاني: ٨٢/٩-٨٣.
- (٤) ينظر: الاصفهاني، أبو فرج. (١٩٣٦). الأغاني: ٨٥/٩.
- (٥) الشنقيطي، أحمد الأمين. المعلقات العشر واخبار شعرائها: ٧.
- (٦) ينظر: مكي، د. الطاهر أحمد. (١٩٩٣). امرؤ القيس حياته وشعره: ٥٨.
- (٧) ينظر: إبراهيم، محمد أبو الفضل. ديوان امرئ القيس: ٩.
- (٨) إبراهيم، محمد أبو الفضل. ديوان امرئ القيس: ١١٤.

رابعاً: على أي شيء كان بكأؤه؟ فإن كان على الحبيب سواء أكان أهلاً أم حبيبة فهو لم يتحدث عنهما في مقدمته، وإنما كان الحديث عن الديار والمواضع، ومن ثم لم يعهد أنه بكى على موت أبيه؛ قال ابن السكيت: "لما طعن الاسدي حجراً ولم يجهز عليه أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له: انطلق إلى ابني نافع - وكان أكبر ولده - فان بكى وجرع فاله عنه واستقرهم واحدا واحدا حتى تأتي امرأ القيس - وكان أصغرهم - فأيهم لم يجرع فادفع إليه سلاحي وخيلي وقديري ووصيتي... حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلعبه بالنرد؛ فقال له: قتل حجر. فلم يلتفت إلى قوله؛ وأمسك نديمه. فقال له امرؤ القيس: اضرب فضرب. حتى إذا فرغ قال: ما كنت لأفقد عليك دستك"^(١)؛ وإذا كان عن ديار الأحبة فلم تمنى أن تتدثر ويختفي أثرها؟^(٢) أليست هذه الأمنية مثيرة للشك في أن تلك المشاعر إن وجدت بحسب ادعائه فإنها لا تعدو أن تكون رياءً لا يتعدى القول الذي ينافي الحقيقة وإلا لكانت أمنيته مغايرة تماماً لما هي عليه في المقدمة.

وقد يكون البكاء على الأحبة والديار معاً، وهذا غير متكافئ في المقدمة، إذ لم يرد ذكر الأحبة إلا على نحو الإشارة بكلمة واحدة فقط (حبيب)، مروراً دون الوقوف بما يتناسب وحجم الحب الموصوف من طريق السيرة الملقاة على أكتاف المرويات الكثيرة في تفسير أبيات الغزل ووصف المرأة أو البحث عن الملوكية الضائعة في تشتت القبائل عنه، والتوصل عن مساعدته ومد يد العون للأخذ بثأره، وأما الديار فقط فقد أورد الباحث حديثه السابق في طبيعة التعاطي مع الموضوع، والعلاقة الحقيقية التي لا تقدم للترابط بين الديار والشاعر إلا بقدر ما سجل من كلمات على الورق، وتناقضها الاماني التي خانتها رياح من جنوب وشمال.

خامساً: عن أي الديار يبكي؟ فإذا كان الشاعر المعروف يتحدث بتلك الطريقة التي تشير إلى جهل المتلقي بموضع الديار بشكل دقيق؟ فكيف موضع ينبغي له البكاء عليه؟

إنَّ طبيعة المكان في المقدمة تشير دون أدنى شك إلى أن امرأ القيس حاول جهاداً أن يضع يد المتلقي على خارطة طريق لا يضل معها، والسبب لا يعدو أن يتعلق بموضوع كثرة الديار العالقة في ذهن المتلقي، ويحاول الشاعر أن يوجه أنظاره إلى مكان محدد لئلا تختلط عليه الأمور وتتعدد الاحتمالات بتعدد الأماكن، وذلك يفضي إلى موضوع أهم، وهو يكمن في السؤال الآتي: هل يتعلق المرء -بالدرجة نفسها- في كل مكان يسكن فيه؟ وإذا لم يكن كذلك فلم اختار

(١) الاصفهاني، أبو فرج. (١٩٣٦). الأغاني: ٨٧/٩.

(٢) ينظر: أبو سويلم، د. أنور عليان، الشوابكة، د. محمد علي. (٢٠٠٠). ديوان امرئ القيس وملحقاته: ١٦٧.

امرؤ القيس ذلك الأسلوب التفصيلي في الارشاد، والشرح الدقيق في وصف الطريق الى مكانه المحبب؟

من جهة أخرى لم يركز الشاعر على مكان بعينه، وإنما شئت نظر المتلقي بالحديث عن مواضع متعددة، الامر الذي يصهر صدق المشاعر ويضعف من ثقة المتلقي في تلقيه موضوعة الحزن والبكاء.

سادسا: الفاصل الزمني كبير جدا إذ إن الحديث عن الديار جاء بوصف الذي يحاول التذكير بموضعها، وكيف كانت حالها وهي مرتع للحيوان الوحشي (الارام)، فقد يرد للذهن استقهام عن السبب الذي حال دون الرجوع إليها إذا كانت محبة أو أنها أرض الأحبة في وقت تستحق أن توصل أو تعاد الى ذاكرة المتلقي بعد فراق أكره عليه الشاعر إلا إذا كان تذكرها ذا صبغة فنية، أو أن الطريق إليها محطة لا مفر منها للوصول إلى هدف أسمى.

سابعا: إن قيمة المشاعر وصدقها في أن يقصدها الانسان، ويحاول استنكارها متعمدا ذلك، من طريق أي شيء يتعلق بها، أو يؤدي إليها ولا يُعتقد أن الشاعر كانت لديه رغبة في التوجه الى تلك الديار وتذكر الأحبة؛ لذلك كان مروره عليها عابرا، وبذلك ربما كانت مشاعر الحزن والبكاء مصطنعة.

ثامنا: تذكر الشاعر الديار والأحبة (من ذكرى حبيب ومنزل)، والذكرى لا تكون إلا للأشياء المنسية، وأي نسيان أعظم من نسيان الأشياء المحببة والقريبة من النفس، والمشكلة الكبرى في هذا المقام، أن ذكرها جاءت مصادفة، إذ تذكر امرؤ القيس أحبته والديار حين مرَّ منها وهو قاصد طريقا آخر، وطلب من صحبيه الوقوف للبكاء؛ لذلك لا يستبعد أن تكون تلك المشاعر عابرة كتلك الوقفة وذلك الاستنكار.

تاسعا: الأشياء المحببة غالبا ما تكون هي محور الموضوع، وعليها يدور الحديث؛ لأنها الأساس الذي تنطلق منه الفكرة، وعليه تبنى الاحداث، ولاسيما اذا كان الموضوع بمستوى فقد الاحبة، او ترك الديار، وقد يُعتقد ذلك في مقدمة امرؤ القيس، وان كان الكلام في المواضيع والتذكر إلا أنه لا يبدو ذكر دياره مختلفا عن غيره، بل يبدو الحديث صورة جغرافية لطبيعة المواضع، واسمائها، الا اذا كانت تلك المواضع كلها بعين الاهتمام، ولها اعتبارات على كثرتها وتنوع اسمائها، وبذلك تفقد خصوصيتها، ولاسيما اذا كانت متنوعة، ولكل منها طبيعة مختلفة، وحضور خاص.

عاشرا: أمر الصحبة بالوقوف قد يدفع المتلقي الى تصور شيء لا يبدو بعيدا عن التظاهر بالتذكر، ولو حدث الوقوف تلقائيا؛ لكان أقرب منه للحقيقة، وكانت دعوة أصحابه زائدة؛ لأنهم سيقفون أولا وأخرا، سواء دعاهم امرؤ القيس أم لم يدعهم.

الحادي عشر: الدعوة للبكاء ومشاركة الاحزان والمشاعر أمر معيب، حتى وإن كانت تلك الدعوة للمقربين من الناس والاصحاب؛ كان ينبغي على امرؤ القيس أن يدعوهم دون كلام، ويدفعهم

للمشاركة من غير أن ينطق بكلمة واحدة، ولو كان ذلك البكاء صادقا، والمشاعر حقيقية لكانت حاله أبلغ دعوة لأصحابه؛ فمن غير المعقول أن يُرى بكاءً مثلما صورت ذلك المقدمة ولا يتأثر أحد به، أو يتعاطف معه من أجل التخفيف عنه ومواساته.

الخاتمة:

وجد الباحث نفسه أمام مفترق طرق! فإما أن يحذو طريقة بعض النقاد الذين نظروا الى المعلقة في أنها نص محاط بهالة من التقديس، ينبغي التعامل معه بحذر شديد، وأن يُؤخذ ما فيها على نحو من التسليم؛ لأنها تمتلك ما من شأنه أن يضعها في منزلة عليا، وقد تحدث الباحث عن ذلك في الصفحات السابقة بما يغني عن الإعادة والتكرار، أو أنه يذهب أبعد من التصورات القارة في القراءات السابقة، ويحاول أن يقف على أشياء جديدة؛ كي لا تبدو هذه القناعات غثا لا فائدة منه، ولا جديد فيه، فتهمل أسوة بغيرها ممن اختار منهج التسليم بما ورد عند السابقين، واكتفى بجمع الآراء وتبويبها على نحو يبدو فيه الترتيب السمة البارزة، والمهيمنة على البحث، ولا شيء سوى ذلك.

والواقع استطاعت هذه القراءة المتواضعة في صفحات معدودة أن تخرج بمجموعة من القناعات؛ أولها: أن النصوص مهما بلغت قيمتها تاريخيا، أو في نظر أهل التخصص تظل مطاوعة لمطرفة النقد، وفيها قابلية العطاء بقدر ما يملك الباحث من مقدرة على الولوج الى مكنوناتها، والوقوف على أسرارها، وما استطاعت أن تخفيه بشرط ألا تكون النتائج محض اهواء، لا دليل على صحتها.

النتيجة الثانية: أن تلك النصوص قد تلامس الحقيقة بقدر معين، ولكنها تقتقد الواقعية في جوانبها الأخرى، وهي بالضرورة كثيرة جدا مثلما صرح بذلك النص نفسه، ووقف عليها الأساتذة النقاد بنحو لا يستلزم التحقيق.

النتيجة الثالثة: لا يشك الباحث اطلاقا أنه بصدد شاعر له مكانته الأدبية المرموقة، ومنزلته التاريخية الرفيعة، ولكن ذلك لا يعني أنه لا يستطيع الغور في غمار نتاجه الشعري، ولا سيما أشهره، وهو المعلقة المعروفة؛ لأنه يعتقد أنها من النصوص الولادة للقناعات الجديدة -إن صح الوصف- والقابلة في منح الباحث نتائج لم يسبق طرحها أو التعرف عليها، وهذا الامر صحي بالنسبة للدراسات الأدبية على وجه الخصوص.

النتيجة الرابعة: لا يعتقد الباحث أن ثمة ما يشير الى وجود مشاعر حقيقية اشتملت عليها مقدمة المعلقة، بل يرى خلاف ذلك وقد سطر مجموعة من الأدلة التي يعتقد بأنها كافية للحكم على افتقار المطلع للرواية الدقيقة تجاه ما جرى من أحداث كانت وراء نظم المعلقة كلها.

النتيجة الخامسة: لم يكن امرؤ القيس الرجل المناسب على وراثته كرسي الملك، ولا الثائر القادر على الأخذ بثأر الملك المغدور.

النتيجة السادسة: ورث في المقدمة عدد من الأمور بوصفها مصدرا للقوة، تعزز طبيعة الموضوع، وتعضد مذهب الشاعر النفسي والعاطفي، وهي في الواقع خلاف ذلك؛ فقد كان الوقوف، والبكاء، والذكريات المؤلمة، والأماكن الكثيرة، والوصف الدقيق إشارات إدانة لامرؤ القيس، اتضحت حقيقتها بعد الكشف عما وراثيات التعبير، وأهداف الأسلوب.

المصادر

١. إبراهيم، محمد أبو الفضل. ديوان امرئ القيس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة.
٢. ابن قتيبة. (١٩٦٧). الشعر والشعراء، ت: أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة.
٣. أبو سليمان، د. أنور عليان، الشوابكة، د. محمد علي. (٢٠٠٠). ديوان امرئ القيس وملحقاته، الطبعة الأولى، مركز زايد للتراث والتاريخ، دولة الامارات العربية المتحدة.
٤. الازدي، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. (١٩٨١). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، دار الجيل، بيروت.
٥. الاصفهاني، أبو فرج. (١٩٣٦). الأغاني، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة.
٦. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (١٩٩٨). البيان والتبيين، ت: عبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٧. الجمحي، محمد بن سلام. (١٩٨٠). طبقات فحول الشعراء، ت: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة.
٨. الحنبلي، الامام العالم نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الصرصري ثم البغدادي. (٢٠١٤). موائد الحيس في فوائد امرئ القيس، ت: الدكتور مصطفى عليان، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الكويت.
٩. الرافعي، مصطفى صادق. (١٩٩٧). تاريخ آداب العرب، طبعة دار الايمان، المنصورة، مصر.
١٠. الرومي، ياقوت الحموي. (١٩٩٣). معجم الادباء، ارشاد الارب الى معرفة الاديب، ت: الدكتور احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى.
١١. السندي، حسن. (١٩٩٠). ديوان امرئ القيس ويلييه اخبار المراقسة واشعارهم واخبار النواذب واثارهم في الجاهلية والإسلام، الطبعة الأولى، دار احياء العلوم، بيروت.
١٢. الشنتمري، العلامة يوسف بن سليمان بن عيسى. (١٩٦٣). أشعار الشعراء الستة الجاهليين، شرح وتعليق: الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثالثة، ملتزم الطبع والنشر: عبد الحميد أحمد حنفي، مصر.
١٣. الشنقيطي، أحمد الأمين. المعلقات العشر واخبار شعرائها، طبعة دار النصر.
١٤. مكي، د. الطاهر أحمد. (١٩٩٣). امرؤ القيس حياته وشعره، الطبعة السادسة، دار المعارف، مصر.

Sources

1. Ibrahim, Muhammad Abu Al-Fadl. Diwan of Imru' Al-Qays, Dar Al-Maaref, Cairo, Fifth Edition.
2. Ibn Qutayba. (1967). Poetry and Poets, T: Ahmed Mohamed Shaker, second edition, Dar Al Maaref, Cairo.
3. Abu Swailem, Dr. Anwar Elyan, Shawabkeh, d. Mohammad Ali. (2000). Imru' Al-Qais's Diwan and its attachments, first edition, Zayed Center for Heritage and History, United Arab Emirates.
4. Al-Azdi, Abu Ali Al-Hasan bin Rashik Al-Qayrawani. (1981). Al-Omda fi Beauties of Poetry, Literature and Criticism, verified by : Muhammad Mohi Al-Din Abdul Hamid, Fifth Edition, Dar Al-Jeel, Beirut.
5. Al-Isfahani, Abu Faraj. (1936). The Songs, first edition, Egyptian Book House, Cairo.

6. Al-Jahidh , Abu Othman Amr bin Bahr. (1998). Al-Bayan wa Al-Tabeen, verified by : Abdel Salam Muhammad Haroun, seventh edition, Al-Khanji Library, Cairo.
7. Al-Jamahi, Mohammed bin Salam. (1980). Layers of Stallions of Poets, T: Abu Fahr Mahmoud Muhammad Shaker, Dar Al-Madani, Jeddah.
8. Al-Hanbali, the Scholarly Imam Najm Al-Din Suleiman bin Abdul Qawi bin Abdul Karim bin Saeed Al-Tawfi Al-Sarsari and then Al-Baghdadi (2014). The Tables of Al-Hays in the Benefits of Imru' Al-Qays, verified by : Dr. Mustafa Alyan, first edition, Ministry of Endowments and Religious Affairs, Kuwait.
9. Al-Rafei, Mustafa Sadiq. (1997). History of Arab Literature, edition of Dar Al-Iman, Mansoura, Egypt.
10. Al-Rumi, Yaqut Al-Hamawi. (1993). A Dictionary of Writers, Guide Al-Arib to the Knowledge of the Writer, verified by : Dr. Ihsan Abbas, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, first edition.
11. Al-Sindubi, Hassan. (1990). Diwan of Imru' Al-Qays, followed by the news of the Al-Muraqasa, their poetry, the news of the geniuses and their Traces on pre-Islamic era and Islam, first edition, Dar Ihya Al-Ulum, Beirut
12. Al-Shantamari, the scholar Yusuf bin Suleiman bin Isa. (1963). The poems of the six pre-Islamic poets, explanation and commentary: Professor Muhammad Abdel Moneim Khafagy, third edition, committed to printing and publishing: Abdel Hamid Ahmed Hanafi, Egypt.
13. Al-Shanqiti, Ahmed Al-Amin. The Ten Pendants and the News of its Poets, Dar Al-Nasr edition.
14. Makki, Dr. Taher Ahmed. (1993). Imru' Al-Qays, His Life and Poetry, sixth edition, Dar Al-Maarif, Egypt.